الأمانة في

تربية الأبناء

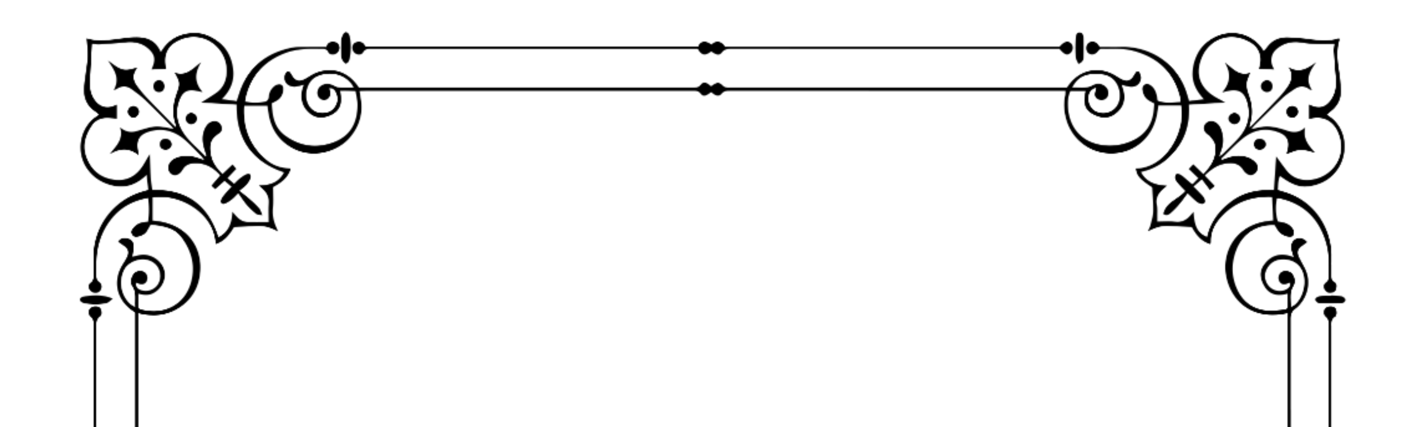
إعداد: هيفاء بنت عبدالله الرشيد

الوصيَّة: AlWasiyyah@

https://t.me/AlWasiyyah







الأمانة في

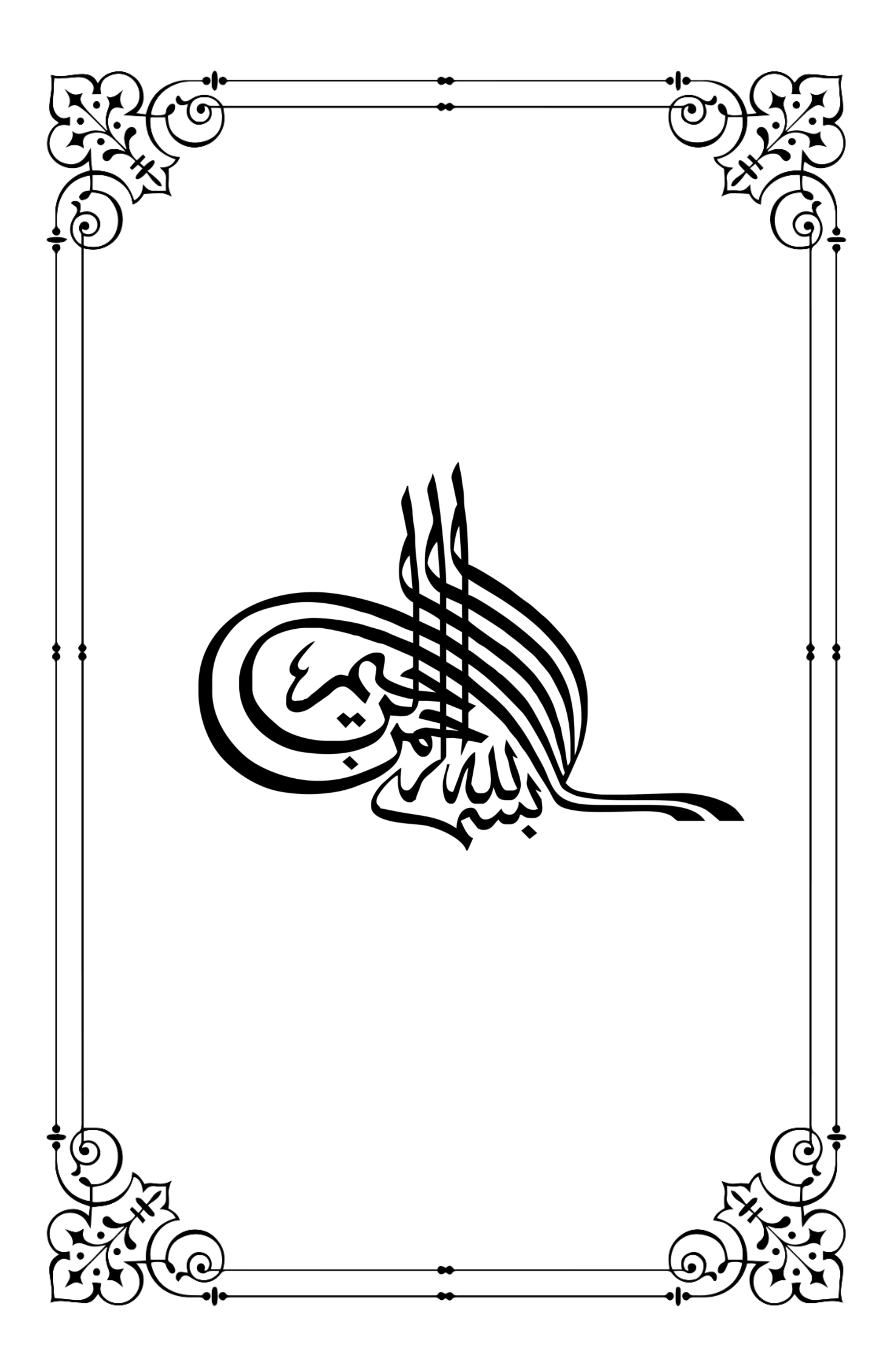
تربية الأبناء



إعداد: هيفاء بنت عبدالله الرشيد

الوصيَّة: AlWasiyyah@

https://t.me/AlWasiyyah


بسم الله الرحمن الرحيم



الأمانة في تربية الأبناء

الحمد الله رب العالمين، ولا عدوان إلا على الظالمين، والصلاة والسلام على خاتم المرسلين محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

إن نعم الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- على عباده لا تحصى ولا تعد: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾(١)، فالعباد يتقلبون بنعم الله ليلًا ونهارًا، ومن هذه النعم نعمة الذرية، فالبنون من نعم الله التي ينعم بها على من يشاء من عباده، وذكر الله عباده بنعمة الذرية قائلاً سبحانه: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِيٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ١٣٢ أَمَدَّكُم بِأَنْعَٰمٖ وَبَنِينَ ١٣٣﴾(٢)، كما بين سبحانه أنهم من زينة الحياة الدنيا فقال: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾(٣)، والسعيد حقاً هو من رزقه الله سبحانه ذرية صالحة، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ونسأل الله الكريم من فضله.

وأمر -جَلَّ جَلَالُهُ- عباده بأن يدعونه سبحانه بأن يهب لهم ذرية تقية صالحة تسعدهم في دنياهم وآخرتهم، فقال الله تعالى: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ

---

(١) [سورة النحل: (١٨)].

(٢) [سورة الشعراء: (١٣٢-١٣٣)].

(٣) [سورة الكهف: (٤٦)].

﴿أَعۡيُنٖ وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا ٧٤﴾[٤]، وهم منّةٌ منّ الله ونعمةٌ تستحقُّ الشكر، قال تعالى: ﴿وَجَعَلۡتُ لَهُۥ مَالٗا مَّمۡدُودٗا ١٢ وَبَنِينَ شُهُودٗا ١٣ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمۡهِيدٗا ١٤﴾[٥].

وديننا الإسلامي يحثنا على أبناءنا وأوصانا الله -سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ- بهم، حيث قال الله -عَزَّوَجَلَّ-: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡ﴾[٦]، وصى الله بهم، وحث سبحانه على تربيتهم التربية الإسلامية الصحيحة وتنشئتهم على ذلك، قال تعالى: ﴿وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَا﴾[٧]، والعمل على وقايتهم من النارِ، بتعليمهم ما يسوق إليها أعاذنا الله منها، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾[٨].

يقول الشيخ ابن باز -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: "هذه الآية العظيمة لها شأن عظيم، وهي قوله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦﴾[٩]، فالله سبحانه يأمر المؤمنين بأن يقوا أنفسهم وأهليهم عذاب الله، وفي هذه الآية التي سئل عنها يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾ بماذا؟ بتقوى الله وطاعة أمره وترك نهيه -جَلَّ جَلَالُهُ-، هذا طريق السلامة، إنما يقي العبد نفسه وأهله عذاب الله بالالتزام بالتقوى والاستقامة على أمر الله وترك محارم الله، وأن يقوم على أولاده وأهل بيته وأقاربه الذين له سيطرة عليهم وخدمة وغير ذلك حتى يوصيهم بتقوى الله، حتى يأمرهم بتقوى الله، فعليك أيها المؤمن أن تقوم على

---

(٤) [سورة الفرقان: (٧٤)].
(٥) [سورة المدثر: (١٢-١٤)].
(٦) [سورة النساء: (١١)].
(٧) [سورة طه: (١٣٢)].
(٨) [سورة التحريم: (٦)].
(٩) [سورة التحريم: (٦)].

نفسك وأن تجاهدها لله، وهكذا أهل بيتك من زوجة وولد من ذكر وأنثى وأخوات وغيرهم ممن في بيتك من أهلك تقوم عليهم وتوجههم إلى الخير وتلزمهم بأمر الله وتكفهم عن محارم الله، وبهذا تقيهم عذاب الله"(١٠).

وهذه النار التي وقودها الناس والحجارة، ﴿عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ﴾، أي: غليظة أخلاقهم، ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۝٦﴾، ويمتثلون فيهم أمر الله الذي حتم عليهم العذاب وأوجب عليهم شدة العقاب، لكن هؤلاء الملائكة متمثلون لأوامره -جَلَّ جَلَالُهُ- بحيث: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۝٦﴾.

وهم غلاظ شداد لا قدرة لأحدًا على التخلص منهم ولا التملص منهم، فمن أمر به إلى النار فهو إليها -ولا حول ولا قوة إلا بالله-، فالواجب علينا الحذر من هذه النار ووقاية أنفسنا وأهلينا وأبنائنا من هذا البلاء العظيم، ويكون ذلك بالتزام التوحيد الخالص لله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، والإخلاص له في أداء العبادات، واتباع سنة رسول الله -ﷺ-، والاستقامة على ما جاء به من فعل الأوامر وترك النواهي، والوقوف عند حدود الله حتى نلقى ربنا -عَزَّ وَجَلَّ- ونحن على ذلك، كما قال الله -جَلَّ جَلَالُهُ- لنبيه -ﷺ-: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ۝٩٩﴾(١١).

وقال الشوكاني -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: "﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾، بفعل ما أمركم به وترك ما نهاكم عنه وأهليكم بأمرهم بطاعة الله، ونهيهم عن معاصيه، ﴿نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ

---

(١٠) [فتاوى الجامع الكبير: (٣٤٨١)].

(١١) [سورة الحجر: (٩٩)].

﴿وَٱلْحِجَارَةُ﴾ أي: نارا عظيمة تتوقد بالناس وبالحجارة كما يتوقد غيرها بالحطب، وقد تقدم بيان هذا في سورة البقرة" [١٢].

وكيف ينقذ نفسه من النار من فتح لهم باب الشرور والعياذ بالله، وجلب القنوات الخليعة إلى بيته، وكيف ينقذ نفسه وينقذ أبناءه وهو ويتركهم يعصون الله ليلًا ونهارًا؟ ويتركهم يتركون ويتهاونون بما أوجب الله عليهم من شرائع الله؟ كيف ينقذ أولاده من النار من يخرج إلى المسجد ويتركهم على فرشهم نائمين لا يصلون مع جماعة المسلمين في المساجد؟! ولا حول ولا قوة إلا بالله، وهل مثل هؤلاء الآباء اتقوا الله في أبنائهم!

للأسف نرى الكثير من الشباب يملؤون الأسواق، ويزعجون الجيران بأصواتهم، وأصوات الأغاني، حتى ولا تحدثهم أنفسهم هؤلاء المساكين أن يذهبوا إلى المسجد، والعجب أن آباؤهم شاهدون وساكتون، بل ويوفرون لهم مطالبهم، هل هؤلاء حقاً خافوا على أبناءهم من العقوبة؟ ودخول النار التي وقودها الناس والحجارة؟

فيا أيتها الأمهات اتقين الله في أولادكن فإنكن مسؤولات عنهم، لا تتركوهم يجلسون في البيوت، ويتركون إقامة الصلاة، ويا أيها الآباء والأمهات تعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان كما قال الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾﴾[١٣].

قال -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾، نقرأ هذه الآية كثيرة ولا نفقه معناها للأسف ولا يعمل بها الكثير من الناس.

(١٢) [فتح القدير للشوكاني: (٥/ ٣٠٢)].
(١٣) [سورة المائدة: (٢)].

قال الشاعر:

فِيهَا غِلَاظُ شِـــدَادٌ مِنْ مَلَائِكَةٌ قُلُوبِهِمْ شِـــدَّةٌ أَقْسَـــى مِنَ الْحَجَرِ
سَـــواءٌ مُظْلِمَةٌ شَـــعْثَاءَ مُوحِشَـــةٌ دَهْمَـــاءَ مُحْرِقَـــةٌ لَوَّاحَـــةُ الْبَشَـــرِ
فِيهَـا الْجَحِيمُ مُـذَيِّـبٌ لِلْوُجُوهِ مَعَ الأَمْعَاءَ مِنْ شِدَّةِ الإِحْرَاقِ وَالشَّـرَرِ
فِيهَا السَّـلَاسِـلُ وَالأَغْلَالِ تَجْمَعُهُمْ مَعَ الشَّـــيَاطِينُ قَسْــراً جَمْعَ مُنْقَهِرِ
وَالْجُوعُ وَالْعَطَشُ الْمُضْنِي لِأَنْفُسِهِمْ فِيهَـا وَلَا جِلْـدٌ فِيهَـا لِمُصْـــطَبِرِ
لَهَـا إِذَا مَـا غَلَـتْ فَوْرَ يَقْلِبُهُمْ مَـا بَيْنَ مُرْتَفِعٍ مِنْهَـا وَمُنْحَـدِرِ
جَمْعُ النَّوَاصِـي مَعَ الْأَقْدَامِ صَـيَّرَهُمْ كَـالْقَوْسِ مَحْمِيَةٌ مِنْ شِـــدَّةِ الْوَتَرِ
يَا وَيْلَـهُمْ تَحْرِقُ النِّيرَانَ أَعْظُـمَـهُمْ بِالْمَوْتِ شَهْوَتُهُمْ مِنْ شِدَّةِ الضَّجَرِ
ضَجُّوا وَصَاحُوا زَمَاناً لَيْسَ يَنْفَعُهُمْ دُعَاءُ دَاعٍ وَلَيْسَ تَسْـلِيمِ مُصْـطَبِرِ

قال بعض السـلف في قوله تعالى: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا**﴾: "معنى ذلك اتقوا الله وأوصـوهم بتقوى الله، وقال بعضـهم: "علموهم وأدبوهم"، والمعنى متقارب، المعنى خذوا على أيديهم، وجوههم إلى الخير، ألزموهم بالحق، حذروهم من الباطل حتى يستقيموا على هدى الله جل وعلا، رزق الله الجميع التوفيق والهداية [١٤].

إذًا الأبناء أمانة في أعناق والديهم، وهم تحت رعايتهم التي سـيسـألون عنها يوم الحساب، يقولُ -ﷺ-: «**أَلاَ كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالإِمَامُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ،**

(١٤) [فتاوى الجامع الكبير لابن باز: (٣٤٨١)].

وَالمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى أَهْلِ بَيْتِ زَوْجِهَا، وَوَلَدِهِ وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْهُمْ، وَعَبْدُ الرَّجُلِ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُ، أَلاَ فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»(١٥).

«**وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ**»؛ الرجل هو المسؤول عن الأسرة بأكملها، فهو القيم على امرأته، وهو الولي والمسئول عن أولاده -بنين وبنات-.

فالأب يجب عليه أن يقوم على الأبناء بما أوجب الله عليه من حقوقهم، وبما ينبغي من تهذيب أخلاقهم وتربيتهم وتعليمهم، مع النفقة عليهم ومنعهم عن كل ما لا يليق سواء من الناحية الدينية أو من الناحية الاجتماعية، ومن زرع العادات الحسنة وتحذيرهم من خوارم المرؤة.

فإن الأب إذا سرحهم وتركهم وضيعهم، حتى لو كان ينفق عليهم، لكنه لم يتعاهد هؤلاء الأولاد بالتربية الإيمانية الصالحة والصحيحة التي أمره الله بها، فإنه يكون قد تركهم وعرضهم لقرناء السوء، أو لقنوات الخلاعة، أو لمواقع الفحش في الإنترنت أو نحو ذلك، فإنه يكون مضيعًا لهؤلاء الرعية، والله تعالى سيحاسبه عنهم يوم الحساب، يوم لا ينفع الندم على التفريط، وعدم الرعاية لهم والله المستعان.

وقوله -ﷺ-: «**وَالمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا**»(١٦)، أي: فيها أن الأبناء يدخلون تحت راعيتها، فهي مسئولة عن الأولاد، وفيما يُعهد إليها من شئونهم، فعليها وجوبًا أن تربي أبنائها تربيةً صالحةً، مع ضرورة صبرها عليهم، وأن تجاهد في تنشئتهم على تعاليم الدين وأوامره، وأن لا تسمح أو ترضى بما يخل في الدين منهم، وأن لا

---

(١٥) [متفق عليه: رواه البخاري في صحيحه: (٨٩٣)، ومسلم في صحيحه: (٢٠)].

(١٦) [أخرجه البخاري: (٨٩٣)].

تتنازل عن بعض الثوابت لأجل رحمتها وشـــفقتها بهم -كما يحدث الآن- من بعض الأمهات.

فمن ذلك يتساهل الكثير من الآباء والأمهات إدخال الإنترنت والقنوات التي فيها ما الله به عليم من المفاسـد والمحرمات، بل والمخالفات العقدية الكثيرة التي تفسـد عليهم دينهم، يأتون لهم بتلك الأجهزة دون مراقبة كل ذلك بحجج واهية والله المستعان.

فمن تلك الحجج الواهية: لابد أنهم يواكبون العصـر والأقران، ومن الحجج كذلك كيف نمنعهم وأقاربهم لديهم كذا وكذا !، كيف يقضـون أوقات فراغهم إذا لم نحضـر لهم الدشوش، والانترنت والجوالات والبلاي ستيشن! حتى أن بعض الألعاب قادحة للعقيدة أو يلعب الرجال والنساء مع بعضهم بعضاً ويكونون صداقات ومسابقات بينهم! وبعدها ينتقلون من البلاي ستيشن إلى الواتس ومن ثم اللقاءات وغيره والله المستعان!، ومن تلك الحجج الواهية أننا إذا عزلناهم عن تلك الأمور سيصبحون متحجرون!، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

إن الإسلام أعطى لكل إنسان مسؤوليات، والله -جَلَّجَلَالُهُ- أعلم بعباده ، فالخلق خلقه -سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ- فلكل فرد له مســؤوليات، ابتداءً من الحاكم وانتهاء إلى الخادم، سـيُسـأل الجميع عن ذلك أمام الله يوم القيامة، كما في الحديث، ففي الصحيح عنه -ﷺ- قال: «**كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالإِمَامُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى أَهْلِ بَيْتِ زَوْجِهَا، وَوَلَدِهِ وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْهُمْ، وَعَبْدُ الرَّجُلِ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُ، أَلاَ فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ**»(١٧).

(١٧) [متفق عليه: رواه البخاري في صحيحه: (٨٩٣)، ومسلم في صحيحه: (٢٠)].

فالكل مسئول، سواءً قلت مسئوليته أو كثرت، وينسى الكثير منا حساب الله يوم القيامة عن تلك المسؤوليات التي أوكلها الله لهم.

فتابعوا أولادكم أينما كانوا، مروهم بالمعروف وانهوهم عن المنكر، وعلموهم أمور دينهم، واعزلوهم عن جلساء السوء وقرناء الفساد، علموهم التوحيد والسنة، حذروهم من المتعالمون المفسدون.

وطهروا بيوتكم من أدوات الفساد: الفيديوهات الرذيلة، والأفلام الفاسدة، والأغاني الماجنة، وصور الخليعة في التلفاز والجوالات، والكتب المنحرفة لأهل البدع والانحرافات، والصحف والمجلات الهابطة المليئة بالكذب والافتراءات.

انتبهوا على أولادكم من المربيات الأجنبيات الكافرات؛ بسبب عقائدهن الفاسدة وعاداتهن الباطلة وما إلى ذلك من الويلات التي يزرعنها في قلوب الأبناء في عمر التلقي والمحاكاة، وجنبوا أبنائكم الرجال الأجانب السائقين، حيث تختلي بعض البنات معهم الأوقات بالساعات ذهاباً وإياباً من المدارس والجامعات، كيف يأمن الوالدين على بناتهم ولا حول ولا قوة إلا بالله

قال الشيخ ابن باز -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: "فإن حكم الخلوة بالمرأة الأجنبية في سيارة أو مكتب أو غيرهما؛ حكمه التحريم، حكمها التحريم بلا شك؛ لقول النبي -ﷺ-: «**لَا يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلَّا وَمَعَهَا ذُو مَحْرَمٍ**»(١٨)، وقوله -ﷺ-: «**لَا تُسَافِرِ الْمَرْأَةُ إِلَّا مَعَ ذِي مَحْرَمٍ**»(١٩).

(١٨) [متفق عليه: رواه البخاري في صحيحه: (٣٠٠٦)، ومسلم في صحيحه: (١٣٤١)].
(١٩) [متفق عليه: رواه البخاري في صحيحه: (١٩٩٥)، ومسلم في صحيحه: (٤١٥)].

وقوله -ﷺ-: «**لا يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ فَإِنَّ ثَالِثَهُمَا الشَّيْطَانُ**»[٢٠]، خرجه الإمام أحمد من حديث عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- بإسناد صحيح، فليس للرجل أن يخلو بالمرأة، لا في مكتب، ولا في سيارة، ولا في غرفة، بل يجب عليه أن يحذر ذلك؛ لأن الشيطان قد يدعو إلى ما لا تحمد عقباه، ولهذا قال: « **فَإِنَّ ثَالِثَهُمَا الشَّيْطَانُ**»، هكذا قال-ﷺ-.

ومن هذا ما قد يقع لبعض الناس يكون له سكرتيرة، يجلس معها في مكتبه، هذا منكر لا يجوز أن يكون للرجل سكرتيرة يخلو بها في مكتبه، أو بيته، أو غير ذلك، بل يكون للرجل سكرتير من الرجال، والمرأة لها سكرتيرة من النساء، فالنساء للنساء والرجال للرجال، أما أن يتخذ سكرتيرة في مكتبه أو في إدارته أو في محل علاجه؛ لكونه طبيب أو ما أشبه ذلك، هذا لا يجوز، وهذا منكر عظيم، ووسيلة للشر العظيم.

وهكذا الخلوة في السيارة كونه يذهب بها هاهنا وهاهنا ما معه أحد، وسيلة لشر عظيم، قد يغلبه الشيطان ويذهب بها إلى حيث يشاء، وقد يتفق معها في السيارة على ما لا تحمد عقباه، فهذا كله لا يجوز"[٢١].

فكل ما سبق ذكره من الإهمال والتقصير في رعايتهم من الغش، ودونكم هذه الكلمات من سيد البشر محمد -ﷺ- عن ما أعده الله لمن مات وهو غاش لرعيته، عن معقل بن يسار -رضي الله عنه- قال: سمعت رسول الله -ﷺ- يقول: «**مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللهُ رَعِيَّةً، يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ، إِلَّا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ**»[٢٢].

قال الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله-: "«**مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللهُ رَعِيَّةً**» وهذا يشمل الرعاية العامة، والرعاية الخاصة، وقد قال النبي -ﷺ- «**والرَّجُلُ في أَهْلِهِ رَاعٍ وهو**

---

(٢٠) [أخرجه أحمد في مسنده: (١٧٧)].
(٢١) [نور على الدرب: (١٥٤٨٥)].
(٢٢) [أخرجه مسلم: (٢٢٧)].

مَسْـؤُولٌ عن رَعِيَّتِهِ، والمَرْأَةُ في بَيْتِ زَوْجِهَا رَاعِيَةٌ وهي مَسْـؤُولَةٌ عن رَعِيَّتِهَا» (٢٣)، وإذا قلنا بهذا صار الإنسان مسؤولاً في أهله في حياته وبعد مماته، وأنه يجب أن يحذر، وأن ينصح لرعيته التي استرعاه الله عليها.

ويبنى على ذلك: أن من خلف لأهله ما لا يجوز اقتناؤه من الآلات كالتلفزيون، والدش، وما أشبه ذلك على وجه يعرف أنهم يستعملونه على محرم، فإنه سيلحقه هذا الوعيد، وأنه إذا مات على هذه الحال، فإن الله يحرم عليه الجنة، والعياذ بالله" (٢٤).

نسأل الله يصلح حالنا، ويغفر لنا ذنوبنا، واسرافنا في أمرنا، ويصلح لنا ذرياتنا، وأن يهدينا وإياهم سواء السبيل.

فالأبناء أمانة عظيمة ولا يجوز التهاون بها، والشرع أمرنا برعايتهم في كثير من الآثار، ففي جامع الترمذي بإسناد ضعيف: عن جابر بن سمرة -رضي الله عنه-، قال: قال رسولُ الله -صلى الله عليه وسلم-: **«لَأَنْ يُؤَدِّبَ الرَّجُلُ وَلَدَهُ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَتَصَدَّقَ بِصَاعٍ»** (٢٥)، وما لنا لا نؤدبهم ونصبر على تربيتهم، وقد قال لنا الرسول -صلى الله عليه وسلم-: **«إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ»** (٢٦).

فهذا الحديث من أوضح الواضحات، ولا يحتاج إلى شرح، يقول النبي -صلى الله عليه وسلم-: **«إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ»**، يعني ينقطع عمله الذي يجري عليه

---

(٢٣) [أخرجه البخاري: (٢٤٠٩)].

(٢٤) [التعليق على مسلم: (١/ ٤٤٧)].

(٢٥) [أخرجه الترمذي في جامعه: (١٩٥١)].

(٢٦) [أخرجه مسلم: (١٦٣١)].

بعد الموت إلا من هذه الثلاث منها: «**وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ**»، أسأل الله أن يصلح لنا الذرية.

وكذلك من مات منهم صغيرا نفع والديه يوم القيامة بإدخالهما الجنة كما ورد في الحديث. أخرج مسلم عَنْ أبي حسان، قال: «**قُلْتُ لِأَبِي هُرَيْرَةَ: إِنَّهُ قَدْ مَاتَ لِيَ ابْنَانِ، فَمَا أَنْتَ مُحَدِّثِي عَنْ رَسُولِ اللهِ** -ﷺ- **بِحَدِيثٍ تُطَيِّبُ بِهِ أَنْفُسَنَا عَنْ مَوْتَانَا؟ قَالَ**: **قَالَ: نَعَمْ**، «**صِغَارُهُمْ دَعَامِيصُ الْجَنَّةِ يَتَلَقَّى أَحَدُهُمْ أَبَاهُ -أَوْ قَالَ أَبَوَيْهِ-، فَيَأْخُذُ بِثَوْبِهِ -أَوْ قَالَ بِيَدِهِ-، كَمَا آخُذُ أَنَا بِصَنِفَةِ ثَوْبِكَ هَذَا، فَلَا يَتَنَاهَى -أَوْ قَالَ فَلَا يَنْتَهِي- حَتَّى يُدْخِلَهُ اللهُ وَأَبَاهُ الْجَنَّةَ**»[٢٧].

و«**الدعاميص**»: صغار أهل الجنة.

فالولد الصالح والبنت الصالحة -لا شك- من كسب والديهم، يقول رسول الله -ﷺ-: «**إِنَّ مِنْ أَطْيَبِ مَا أَكَلَ الرَّجُلُ مِنْ كَسْبِهِ وَوَلَدُهُ مِنْ كَسْبِهِ**»[٢٨].

قال شيخ الإسلام -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- في مجموع الفتاوى: "فذكر الولدَ، ودعاؤه له خاصَّين؛ لأنَّ الولد من كسبه كما قال: ﴿ **مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢** ﴾[٢٩]، قالوا: إنَّه ولده، وكما قال النَّبيُّ -ﷺ-: «**إِنَّ مِنْ أَطْيَبِ مَا أَكَلَ الرَّجُلُ مِنْ كَسْبِهِ وَوَلَدُهُ مِنْ كَسْبِهِ**»، فلمَّا كان هو السَّاعي في وجود الولَد، كان عملُه من كسبه، بخلاف الأخ والعمِّ والأبِ ونحْوهم، فإنَّه ينتفِع أيضًا بدُعائهم، بل بدعاء الأجانب، لكن ليس ذلك من عمله. والنَّبيُّ -ﷺ-قال: «**انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ**»[٣٠]، لم يقُل: إنَّه لَمْ ينتفع بعمل

(٢٧) [أخرجه مسلم: (٢٦٣٥)].

(٢٨) [أخرجه أبو داود: (٣٥٢٨)].

(٢٩) [سورة المسد: (٢)].

(٣٠) [أخرجه الترمذي: (١٣٧٦)].

غيرِه، فإذا دعا له ولدُه، كان هذا من عملِه الَّذي لم ينقطِع، وإذا دعا له غيرُه، لم يكُن من عملِه؛ لكنَّه ينتفع به"(٣١).

لا شك أن الأبناء الصالحين لن يغفلوا عن بر والديهم أحياءً وأمواتًا، ولن ينشغلوا عن الدعاء لهم، مهما بلغ بهم مشاغل الحياة، ولا شك أن دعوتهم تنفع الوالدين بأمس الحاجة للدعاء، (دعوة ولده الصالح)، هذا هو الربح، وهذه هي الغبطة، أن يُسَخر الله لمن من يدعو للعبد بعد الممات، يقول الرسول -ﷺ-: «**إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَيَرْفَعُ الدَّرَجَةَ لِلْعَبْدِ الصَّالِحِ فِي الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، أَنَّى لِي هَذِهِ؟ فَيَقُولُ: بِاسْتِغْفَارِ وَلَدِكَ لَكَ**»(٣٢).

وعليْه؛ فما يفعلُه الولد الصَّالح من الأعْمال الصَّالحة، فإنَّ لوالديْه مثلَ أجرِه إن كان الأبُ هو مَن دلَّه على الخير؛ لقولِه -ﷺ-: «**مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى، كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ، كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا**»(٣٣).

وقوله -ﷺ-: «**مَنْ سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً، كَانَ لَهُ أَجْرُهُ، وَمِثْلُ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا، مِنْ غَيْرِ أَنْ يُنْقَصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً، كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهُ، وَمِثْلُ وِزْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا، مِنْ غَيْرِ أَنْ يُنْقَصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ**» (٣٤).

---

(٣١) [مجموع الفتاوى: (٢٤/ ٣١٢)].

(٣٢) [أخرجه أحمد في مسنده: (١٠٦١٠)].

(٣٣) [أخرجه مسلم: (٢٦٧٤)].

(٣٤) [أخرجه ابن ماجه: (٢٠٣)].

فكل بذلتم من جهد وما لقيتم من معاناة في تربيتهم، فاعلموا أن هذا التعب والجهد لن يذهب هباءً منثورًا بل تروها في الدنيا قبل الآخرة.

السؤال الذي يفرض نفسه الآن كيف نربيهم على الصلاح؟

١/ القدوة الحسنة: المربي عليه أن يكون فعله وسلوكه صادقاً قبل كلامه فعندما يرى الطفل والديه يلتزمون بتطبيق سنة الرسول -ﷺ- مع التوضيح للطفل بأننا نفعل كذا اقتداءً برسول الله -ﷺ-، فإذا نشئ الأبناء تحت رعاية والدين محبين للدين، متبعين لتعاليم الدين لا شك أن ذلك سينعكس على الأبناء، لأنهم منذ طفولتهم يتأثرون بما يفعله آباؤهم أمامهم، ويقلدونهم في كل شيء، فإذا قام الأب والأم بأمر أبناءهما طوال اليوم بفعل شيء هما لا يطبقانه فلن يستجيبوا لهما، لذلك يجب أن يحرص الوالدين على أن تكون أفعالهم وأخلاقهم منضبطة بضوابط الإسلام حتى يلتقط الأبناء هذه الأفعال بالشكل السليم.

فالقدوة جداً مهمة في نشئه أجيال صالحين، لكن ماذا لو رأوا الأبناء الآباء منكبين على التمثيلات والمسلسلات، أو على المطاعم والمنتزهات، أو البيوت تزج بالموسيقى والملهيات! فهل تعد هذه الأسرة قدوة حسنة أم سيئة؟

قال الشاعر قديمًا في معرض التربية:

مَشَى الطَّاوُسُ يَوْمًا بِاعْوِجَاجٍ ... فَقَلَّدَ شَكْلَ مِشْيَتِهِ بَنُوهُ
فَقَالَ: عَلامَ تَخْتَالُونَ؟ قَالُوا: ... بَدَأْتَ بِهِ وَنَحْنُ مُقَلِّدُوهُ
فَخَالِفْ سَيْرَكَ الْمِعْوَجَّ وَاعْدِلْ ... فَإِنَّا إِنْ عَدَلْتَ مُعَدِّلُوهُ
أَمَا تَدْرِي أَبَانَا كُلُّ فَرْعٍ ... يُجَارِي بِالخُطَى مَنْ أَدَّبُوهُ
وَيَنْشَأُ نَاشِئُ الْفِتْيَانِ مِنَّا ... عَلَى مَا كَانَ عَوَّدَهُ أَبُوهُ

٢/ تعليمهم أسـس الدين: على سـبيل المثال: إذا أكل يُوجه بالأكل باليمنى، ويؤمر بالتسمية عند الطعام، مع ربطهم بالنصوص، لأن الرسول -ﷺ- قال: «**يَا غُلاَمُ، سَمِّ اللَّهَ، وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ**» (٣٥). فيعلم هذا التوجيه النبوي كما علم الرسول -ﷺ- عمر بن أبي سلمة -رضي الله عنهما- عندما طاشت يديه في الصحفة.

ففي الحديث مشـروعية تربية الصـغار على الآداب الشـرعية، وأن الصـغير يتأثر بذلك، وينطبع هذا في ذهنه، وأنه يسـهُلُ عليه تعويد نفسـه على الخير إذا عُوِّد عليه من الصغر، فهذا راوي الحديث عمر بن أبي سـلمة -رضي الله عنهما- يقول بعد أن علَّمه النبي -ﷺ- هذا الأدب: "**فَمَا زَالَتْ تِلْكَ طِعْمَتِي بَعْدُ**"(٣٦).

يُعلم الأبناء أنه إذا لم يعجبهم الطعام أن لا يعيبوه، لأن الرسـول -ﷺ- لم يعيب طعاماً قط، إن أعجبه أكله وإن لم يعجبه تركه، يعلم كذا وكذا.

وتعليمهم حقوق الأقارب والجار في الإسـلام، وأهمية عيادة المريض، وأهمية توقير الكبير ورحمة الصغير، وفضل الإحسان إلى الناس، وتعليمهم كيفية الوضوء والغسل والعناية بالنظافة الشخصية كالاستنزاه من البول وغيره

فهم يحتاجون إلى هذه التربية الإسـلامية، فالمربي هو: الذي يربيهم على أسـس ومبادئ فاضـلة، وعلى القيم الإسـلامية الحميدة، المربي يعلم الأبناء العادات والتقاليد الحميدة.

---

(٣٥) [رواه البخاري: (٥٣٧٦)].

(٣٦) [رواه البخاري: (٥٣٧٦)].

وإذا تُرك الأبناء من غير توجيه ولا تعليم فلا تسأل عن حالهم عند الكبر، فستظهر الكثير من المشاكل بين الآباء والأبناء ولا شك وعندها يصعب تغير سلوكياتهم وتمردهم على أوامر والديهم لأنهم لم ينشؤوا عليها ولم يعتادوا عليها.

ومن المفيد جداً تحديد وقت معين في اليوم أو في الأسبوع، بعد صلاة معينة لقراءة كتاب شرعي، وعلى الوالدين اغتنام هذه الفرصة لأن الأبناء يسهل التحكم بهم إذا كانوا صغاراً، فإذا كبروا يصعب قراءة الكتب لهم، لأنهم كبروا وقست قلوبهم وانشغلوا بأعمالهم وكما قيل التعليم في الصغر كالنقش في الحجر.

٣/ أمرهم بما أمر الله الوالدين به تجاه الأبناء: فمن ذلك الصلاة قول الله تعالى: ﴿**وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ**﴾(٣٧)، ويقول الرسول -ﷺ- بالصلاة: «**مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا، وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرٍ وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ**»(٣٨).

قوله -ﷺ-: «**أَوْلَادَكُمْ**» يعم الذكر والأنثى؛ فإن الولد في لغة القرآن الكريم يشمل الذكر والأنثى؛ كما قال تعالى: ﴿**يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ**﴾(٣٩).

بهذا الحديث فوائد كثيرة، منها ما يلي:

الفائدة الأولى: فيه الأمر للآباء بأن يأمروا أولادهم بالصلاة، وأن يؤدبوهم على المحافظة على أدائها؛ وذلك لأن الوالدين هم المسؤولين عنهم ما داموا تحت أيديهم، والأمر

---

(٣٧) [سورة طه: (١٣٢)].

(٣٨) [رواه أبو داود في سننه: (٤٩٥)].

(٣٩) [سورة النساء: (١١)].

هنا للوجوب، وليس للاستحباب؛ وذلك بسبب ولايتهم عليهم، وحدد الشارع الحكيم السن التي يجب البدء في أمرهم، ولا شك أن ذلك لحكمة عظيمة، فيَنْبغي أنْ يتعَلَّمَ الأولادُ الصلاة بالتَّدرُّجِ والتَّسلسُلِ، لماذا؟ حتَّى تكونَ سَهْلةً عليهم، ويُبْدَأُ معَهم في تَعليمِها في السن السابعة وهي في هذا الوقت غير واجبة عليهم؛ لكن لتسهل عليهم قَبْلَ وقتِ وُجوبِها عليهم.

وهل يؤمروا قبل السابعة؟ لا؛ لكن لا شك أن الأبناء قبل السابعة يرون الآباء يصلون أمامهم كثيرًا فيكونوا قد اكتسبوا القدوة منهم ومن ثم أمرهم بها وجوبًا إذا بلغوا السابعة.

الفائدة الثانية: إذا بلغوا العاشرة فيضربوا إذا لم يصلوا ضربًا غير مبرح حتى لا يكره الصلاة إذا لم ينفع معه أسلوب الترغيب، ولا يلجأ إلى تأديب الطفل وضربه إلا بعد انتهاء جميع الوسائل الأخرى، فإذا قَصَّر في الصَّلاةِ في العاشرة وبعدها ضُرِبَ وعُوقِبَ حتَّى يعتادَ على أدائِها، فإذا ما دَخَل وقتُ التَّكليفِ يكونونَ قد اعْتادوا عليها دونَ أَدْنى تَفريطٍ مِنْهم في تِلْكَ العِبادةِ والتي هي عمود الدين والركن الثاني من أركان الإسلام.

الفائدة الثالثة: في الحديث شمولية الأمر لجميع الصلوات المفروضة، بما فيها صلاة الفجر، فهذا دِين الله وشرعه في كتابه وسنة رسوله -ﷺ-، يأمر الآباء أن يوقظوا الأبناء صغارًا وكبارًا لصلاة الفجر ولجميع الصلوات.

وبعض الناس يترك الأبناء نيام من رحمتهم بهم، لكن كان الأولى من هؤلاء أن يرحمهم من عذاب الله، بل هؤلاء الآباء المتهاونون عليهم أن يرحموا أنفسهم من سخط الله عليهم لتضييعهم الأمانة التي في أعناقهم؛ لذا فالواجب على الآباء والأمهات أن يُنقذوا أنفسهم من مخالفة أمر الله تعالى وأمر رسوله -ﷺ-، ثم ينقذوا مَن تحت أيديهم بتعليمهم الخير، وهدايتهم طريق الله تعالى، ومنه الحث والتربية على أداء الصلوات كلها، ومنها صلاة

الفجر، وعلى الآباء أن يبينوا لأولادهم أهمية الصـــلاة وفائدتها، وأنها من أعظم حق الله علينا، وهي الركن الثاني من أركان هذا الدين العظيم، وتنمية تعظيم شعائر الله في نفوسهم وهذا معنى قول الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾(٤٠).

الفائدة الرابعة: على الوالدين أن يتحلوا بالصـــبر، قال -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾(٤١)، حيث أخبر الله تعالى أنه لا بد للمحافظة على الصـــلاة من الاصطبار، وهو أجلُّ وأرفع من مجرد الصبر، قال القشيري -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: "الاصطبار: نهاية الصبر"(٤٢)، وقال ابن عطاء -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: "أشد أنواع الصبر الاصطبار"(٤٣)، وقال ابن القيم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- ما ملخصه: "وهو أبلغ من الصبر وأقوى"(٤٤).

تنبيه: كثير من الأمهات يشتكين من تقصير الأبناء في الصلاة، بل يبكين حزنًا على ذلك، ويتحسرن ويتألمن كثيرًا من عدم صلاة أبناءها أو تقصيرهم في المحافظة على أوقاتها أو عدم صلاة الأبناء في الجماعة في المساجد، فكثير ما نسمع مثل تلك الشكاوى، أسأليها أولا هل حرصتي على أمرهم عليها من العمر السابع كما تأمرينهم على المذاكرة؟ هل توقظيهم على صلاة الفجر وتحرصين على ذلك كما توقظيهم على الاختبارات؟ بعض الأمهات يرحمن أبنائهن -وخاصةً في الشتاء- فيتركوا الأبناء نوام ويأمرون الأبناء ليصلوا

(٤٠) [سورة الحج: (٣٢)].
(٤١) [سورة طه: (١٣٢)].
(٤٢) [تفسير الثعالبي: (٣/ ١٥)].
(٤٣) [تفسير السلمي: (١/ ٤٥٤)].
(٤٤) [طريق الهجرتين: (١/ ٤٠٧)].

عند اســـتيقاظهم للمدرســـة، وأي رحمة هذه! لماذا لم ترحم مثل هذه الأم من ايقاظهم للمدرسة!

ســـئل الشـــيخ ابن باز -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: هل لنا أن نطالب الأبناء والبنات الذين لم يتجاوزوا الثانية عشـرة إذا كانوا مصـابين بالإرهاق أو التعب أو مصـابين بأحد الجروح أو الكسور، هل لنا أن نوقظهم للصلاة ونطلب منهم أن يقضوا هذه الصلاة؟

فأجاب -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- بقوله: "نعم، يعلمون ويوقظون للصلاة ويصلون على حسب أحوالهم؛ لقول النبي -ﷺ-: «**مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا، وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْـرٍ**»(٤٥) فيوقظ في وقت الصـلاة ويصـلي على حسـب حاله، إن استطاع قائمًا صلى قائمًا وإن عجز صلى قاعدًا وإن لم يستطع صلى على جنب كما قال النبي -ﷺ- لعمران بن حصـين لما مرض: «**صَـلِّ قَائِمًا، فَإِنْ لَمْ تَسْـتَطِعْ فَقَاعِدًا، فَإِنْ لَمْ تَسْـــتَطِعْ فَعَلَى جَنْبٍ**»(٤٦)، هذا هو الواجب على الوالدين مع أولادهم تنفيذًا لأمر النبي -ﷺ- على حسـب الطاقة ﴿**فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ**﴾(٤٧)، ولو كان غير بالغ ما دام قد بلغ سبعًا فأكثر، فالذي بلغ السبع ودون العشر يؤمر أمرًا ولا يضرب، أما إذا بلغ عشرًا فأكثر فإنه يؤمر ويضرب إذا تخلف ويصلي على حسب حاله إذا كان مريضًا أو به جرح أو نحو ذلك يعلم ويوجه ويصلي على حسب حاله كالبالغ" (٤٨).

---

(٤٥) [رواه أبو داود: (٤٩٥)].

(٤٦) [أخرجه البخاري: (١١١٧)].

(٤٧) [سورة التغابن: (١٦)].

(٤٨) [نور على الدرب: (١٣٠٦٢)].

الفائدة الخامسة: قال الرسول -ﷺ-: «**وفَرِّقوا بَيْنَهم في المَضاجِعِ**»[٤٩]، أي: عند بلوغهم سِنَّ العاشِرةِ يُفرَّقُ بين الأولادِ بصِفةٍ عامَّةٍ، وبين الذُّكورِ والإناثِ بصِفةٍ خاصَّةٍ في النَّومِ بجانبِ بعضِهم البعضِ، أي يُفْصَلُ بينَهم.

فلماذا الفصل في هذا العمر؟

لأنَّ هذا العُمرَ بدايةُ الدُّخولِ في مرحلةِ البُلوغِ ومعرفةِ الشَّهوةِ، وللأسف يرى الكثير من العوائل لا ينتبهون إلى هذه المسألة وهذا الأمر الرباني، فتحدث من الكوارث ما لا تحمد عقباها.

ولا شك أن لهذا الأمر عواقب وخيمة تحدث عند البعض لا يعلمها الوالدين إلى بعد ما يقع الفأس بالرأس، يُترك أبناء الخالة وأبناء العمومة بنات أو أولاد ينامون في غرفة واحدة وعلى أسرة واحدة، إما بزعمهم أنهم صغار، أو بزعمهم كأنهم الإخوة، ولا يمكن أن تحدث أمور مخلة فيما بينهم، وهذا لا شك خطأ عظيم ترتكبه بعض الأسر وهذه بالحقيقة جناية على الأبناء، فضلاً على أنها مخالفة لأمر الرسول -ﷺ-.

وقفة: قالت احدى الطبيبات: أن أكثر المراهقات الذين يأتون إلى العيادة يكون بسبب التحرش من قِبل بعض الأقارب، أبناء الخال وأبناء العم، بحيث تترك الأمهات الأولاد مع البنات يسرحون ويمرحون بالساعات دون رقيب فيحدث بينهم المغامرات والعياذ بالله.

فهذه المرحلة صعبة جدًا، وما أُلفت فيها الكتب الضخمة إلا لأهمية مرحلة المراهقة وحساسيتها، ففي هذه المرحلة تتغير الهرمونات بشكل سريع، وفي هذه المرحلة يكون فيها

---

(٤٩) [رواه أبو داود في سننه: (٤٩٥)].

اللامبالاة، والاندفاع والمغامرات دون حساب العواقب، أو حتى التفكير فيها، فعلى الآباء عمومًا والأمهات خصوصًا الانتباه والحذر من الاختلاط، ومن النوم دون التفريق بينهم.

فالأبناء أمانة في الصغر، وكذلك في الكبر، لا يعني أنهم إذا بلغوا السن الثامنة عشر كما هو عند الغرب يُتركون! لا، بل يوجهون ويعلمون وينصحون ويؤدبون ويراقبون، يجب على الوالدان أن يكونا على اطلاع بماذا يفعل أبناؤهما، وأين يذهبون ومن يصادقون، وكيف يمضون يومهم، حتى يقوموا بتوجيههم جيدًا، ولا بد أن تكون هذه المراقبة في منتهى السرية دون أن يشعروا حتى لا يظنوا أنهم محاصرون أو غير جديرين بالثقة من والديهم.

تنبيهات يجب الانتباه عليها تجاه الأبناء:

١/ يجب زرع مراقبة الله -جَلَّجَلَالُهُ- في نفوس الأبناء حتى يكونوا على يقظة دائمة ويعرفوا أنهم سيتعرضون لغضب الله إن اخطئوا فلا يحتاجوا لمن يراقبهم وهذه نقطة مهمة، فكثير من الناس يربون أبناءهم -فقط- على العيب وعلى ماذا يقول الناس! وهذا لا ينبغي، بل يربى الأبناء على كيف تعصي الله وهو يراك ويسمعك! كيف تقول ما يغضب الرب عنك.

٢/ يجب أن تكون الموعظة باستخدام أسلوب لطيف، لين، فيذكرونهم برفق بالله عز وجل وما الذي سينالونه عندما يتبعوا أوامر الله، وكذلك يذكرونهم بالجنة والنار، ولابد يكون ذلك باللين والرفق، وعَنْ أم المؤمنين عَائشة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا-: أَنها قَالَت: قَالَ رسولُ اللهِ -ﷺ-: «**إِذَا أَرَادَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِأَهْلِ بَيْتٍ خَيْرًا، أَدْخَلَ عَلَيْهِمُ الرِّفْقَ**»(٥٠).

(٥٠) [أخرجه أحمد في مسنده: (٢٤٤٢٧)].

وفي حديث آخر: «**إِنَّ الرِّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ**» (٥١). وقال رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-: «**إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الأَمْرِ كُلِّهِ**»(٥٢).

فبعض الأمهات -هداهن الله- تلجأ في أسلوب الترهيب دون الترغيب في كثير من الأحيان، مثل بالتهديد والوعيد والضرب والصياح والحرمان من الاستمتاع بوقت الفراغ، فهذا لا ينبغي؛ لقول رسول الله -ﷺ-: «**إِذَا أَرَادَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِأَهْلِ بَيْتٍ خَيْرًا، أَدْخَلَ عَلَيْهِمُ الرِّفْقَ**»(٥٣).

ويعطي الله على الرفق ما لا يعطي على العنف كما ثبت في الحديث، فعن عَائشة -رضي الله عنها-: أَن النبيَّ -ﷺ- قَالَ: «**إِنَّ اللهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ، وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ**»(٥٤).

فالتوجيه يكون بأسلوب اللين والرفق، قد يحتاج الموقف إلى شيء من الشدة والحزم، فلكل مقام مقال، ولنا في رسول الله -ﷺ- القدوة، فكان -ﷺ- مع الأعراب يصبر ويرفق بهم لأنهم يغلب عليهم الجهل.

فعلى سبيل المثال عندما بال أعرابي في المسجد هم الصحابة عليه وكادوا يضربونه وزجروه على بوله داخل المسجد لكن النبي -ﷺ- نهاهم وقال دعوه حتى أكمل بوله، ثم علمه، حتى قال الأعرابي اللهم ارحمني ومحمدًا ولا ترحم معنا أحدًا، فعن أَنَسِ بن مالك -رضي الله عنه-، قال: "جاء أعرابي فبال في طائفة المسجد، فزجره الناس، «**فَنَهَاهُمُ النَّبِيُّ** -ﷺ-

(٥١) [أخرجه مسلم: (٢٥٩٤)].
(٥٢) [رواه البخاري في جامعه: (٦٠٢٤)].
(٥٣) [أخرجه أحمد في مسنده: (٢٤٤٢٧)].
(٥٤) [رواه مسلم: (٢٥٩٣)].

فَلَمَّا قَضَى بَوْلَهُ أَمَرَ النَّبِيُّ -ﷺ- بِذَنُوبٍ مِنْ مَاءٍ فَأُهْرِيقَ عَلَيْهِ" (٥٥)، في هذا الحديث لطفه وحسن تعليم الرسول -ﷺ- للجاهل .

قال ابن دقيق العيد -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: "لم ينكر النبي -ﷺ- على الصحابة ولم يقل لهم لم نهيتم الأعرابي، بل أمرهم بالكف عنه؛ للمصلحة الراجحة وهو دفع أعظم المفسدتين باحتمال أيسرهما وتحصيل أعظم المصلحتين بترك أيسرهما"(٥٦).

ومن أمثلة أسلوب الشدة مع بعض الصحابة فإن الرسول -ﷺ- شدد على معاذ بن جبل -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ- وقال له: «**أفتَّانٌ أنتَ يا معاذُ**»، عندما أطال صلاة العشاء في الجماعة على الناس.

فعن جابر بن عبدالله -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ-: "أن معاذ بن جبل -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ-، كان يصلي مع النبي -ﷺ-، ثم يأتي قومه فيصلي بهم الصلاة، فقرأ بهم البقرة، قال: فتجوز رجل فصلى صلاة خفيفة، فبلغ ذلك معاذًا، فقال: إنه منافق، فبلغ ذلك الرجل، فأتى النبي -ﷺ- فقال: يا رسول الله، إنا قوم نعمل بأيدينا، ونسقي بنواضحنا، وإن معاذًا صلى بنا البارحة، فقرأ البقرة، فتجوزت، فزعم أني منافق، فقال النبي -ﷺ-: «**يَا مُعَاذُ، أَفَتَّانٌ أَنْتَ -ثَلاَثًا- اقْرَأْ: وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا وَسَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى وَنَحْوَهَا**»"(٥٧).

قال الشيخ ابن باز -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: "النبي -ﷺ- أرشد الأئمة إلى أن يرفقوا بالناس، فقال: «**أَيُّكُمْ صَلَّى بِالنَّاسِ فَلْيُخَفِّفْ، فَإِنَّ فِيهِمُ الصَّغِيرَ وَالْكَبِيرَ وَذَا الْحَاجَةِ**»(٥٨).

---

(٥٥) [رواه البخاري في صحيحه: (٢٢١)].

(٥٦) [فتح الباري لابن حجر: (١/ ٣٢٥)].

(٥٧) [أخرجه البخاري في صحيحه: (٦١٠٦)].

(٥٨) [أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط: (٢١٦١)].

فالواجب على الإمام أن ينظر في الأمر وألا يشق على الناس، والقدوة هو النبي -ﷺ- في أفعاله كلها، وهديه وأخلاقه -ﷺ-، قال الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-: ﴿**لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ**﴾(٥٩)، وكان -عليه السلام- يراعي أحوال الناس في الصلاة".

"فالواجب على الأئمة أن يتأسوا به -ﷺ- وأن يقتدوا به في الصلوات الخمس كلها حتى لا يفتنوا الناس وحتى لا يشجعوهم على ترك الصلاة في الجماعة، فإذا صلى صلاةً وسطًا ليس فيها مشقة على الناس اجتمع الناس وصلوا جماعة ورغبوا في الصلاة وتواصوا بأدائها في المساجد، ولهذا في اللفظ الآخر: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ مِنْكُمْ مُنَفِّرِينَ**»، يعني منفرين من الصلاة في الجماعة، «**فأَيُّكُمْ أَمّ النَّاسِ فَلْيُخَفِّفْ**»، ولهذا قال النبي -ﷺ- لمعاذ: «**أَفَتَّانٌ أَنْتَ يَا مُعَاذُ؟**» وقال بعدها: «**هَلا قَرَأْت بِسَبّح اسْمَ رَبّكَ الْأَعْلَى، واللَّيْلِ إِذا يَغْشَى، وَالشَّمْسُ وَضَحاها، واقْرَأْ بِاسْمِ رَبّكَ**».

«**فأَيُّكُمْ أَمّ النَّاسِ فَلْيُخَفِّفْ**» ثم أرشد إلى هلا قرأت: بسبح اسم ربك الأعلى، وإذا السماء انشقت، وفي بعضها والشمس وضحاها، والليل إذا يغشى، يعني في أوساط المفصل، يعني هذه الصلاة وما يشابهها في العشاء والظهر والعصر، أما الفجر، فكان يقرأ أطول من ذلك، كان -ﷺ- يقرأ في الفجر بالطور، وق والقرآن المجيد، واقتربت الساعة، والواقعة وما أشبهها -ﷺ-، فالفجر يطول فيها بعض الطول مثل ق ونحوها، وفي الظهر، والعصر، والمغرب، والعشاء، بأوساط المفصل، وفي المغرب في بعض الأحيان بقصاره وفي بعض الأحيان يطول فيها كما فعل النبي -ﷺ- لكن الأغلب بالقصار" (٦٠).

٣/ الدعاء للأبناء: يشرع قبل أن يُرزق الإنسان بالأبناء أن يدعو بالذرية الصالحة الطيبة، لأن الذرية الصالحة هي قرة أعين الوالدين، فإبراهيم -عليه السلام- توجه لربه بالدُّعاء

---

(٥٩) [سورة الأحزاب: (٢١)].

(٦٠) [نور على الدرب: (٢٩١٤٨)].

ليرزقه الله بالولد الصالح، وجاء ذكر هذا الدُعاء بقوله تعالى على لسانه: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٠٠﴾[٦١] فاستجاب الله له دُعاءه، ورزقه بإسماعيل وإسحاق -عليهما السلام-، وقال الله تعالى عن زكريا -عليه السلام-: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ٣٨﴾[٦٢]، وقال سبحانه في صفات عباد الرحمن: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ٧٤﴾[٦٣].

فعلى الوالدين الاكثار من الدعاء لهم، ومن الأدعية المأثورة، قال تعالى: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ٤٠﴾[٦٤]، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ٧٤﴾[٦٥]، فهم -أي الأبناء- بأمس الحاجة إلى الدعاء؛ لأنهم محاطون بفتن الشهوات والشبهات من جميع الجهات.

ودعاء الوالدين مستجاب لما ورد في السنة النبوية عن أبي هريرة -رضي الله عنه- مرفوعًا: «**ثَلَاثُ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٌ لَا شَكَّ فِيهِنَّ: دَعْوَةُ الْمَظْلُومِ، وَدَعْوَةُ الْمُسَافِرِ، وَدَعْوَةُ الْوَالِدِ عَلَى وَلَدِهِ**»[٦٦]، وفي هذا الحديث: إن من دعا عليه بحقّ أما إن دعا عليه بغير حقّ فلا يضرّه ذلك.

---

(٦١) [سورة الصافات: (١٠٠)].
(٦٢) [سورة آل عمران: (٣٨)].
(٦٣) [سورة الفرقان: (٧٤)].
(٦٤) [سورة إبراهيم: (٤٠)].
(٦٥) [سورة الفرقان: (٧٤)].
(٦٦) [أخرجه الترمذي: (١٩٠٥)].

قال ابن عثيمين -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- في كتابه (شــرح رياض الصــالحين): "دعوة الوالد في بعض ألفاظ الحديث على (ولده) وفي بعض ألفاظه مطلقة (الوالد) أي سواء دعا لولده أو عليه وهذا هو الأصــح دعوة الوالد لولده أو عليه مســتجابة أما دعوته لولده فلأنه يدعو لولده شـفقة ورحمة والراحمون يرحمهم الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- وأما عليه فإنه لا يمكن أن يدعو على ولده إلا باستحقاق فإذا دعا عليه وهو مستحق لها استجاب الله دعوته"(٦٧).

تنبيه: ظهر في الآونة الأخيرة أدعية مخالفة للســنة النبوية تنتشــر من فترة لأخرى، مثل دعاء الأبناء، دعاء الأزواج، دعاء للإنجاب، دعاء بداية الفصل الدراسي، دعاء خاص للاختبارات ويتواصون في نشرها ويلزمون الناس بها وكأنها أدعية مأثورة عن النبي -ﷺ-.

ينبغي أن يُعلم أن اختراع أدعية مخصوصة لأحوال معينة، والاعتقاد بها وكأنها منزلة من السماء، وإرشاد الناس إلى التزامها كما تلتزم الأوراد الشرعية أنه من التشريع في دين الله بما لم يأذن به الله ما لم ينزل به ســلطاناً، وأقل ما يقال فيه أنه يصــرف عن الدعاء المشروع الثابت بالنصوص.

قال القاضــي عياض -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: " أذن الله في دعائه، وعلَّم الدعاءَ في كتابه لخليقته، وعلَّم النبيُّ -ﷺ- الدعاءَ لأمَّته ، واجتمعت فيه ثلاثةُ أشــياء: العلمُ بالتوحيد، والعلم باللغة، والنصيحة للأمَّة، فلا ينبغي لأحدٍ أن يعدلَ عن دعائه -ﷺ-، وقد احتال الشيطانُ للناس من هذا المقام ، فقيَّض لهم قومَ سوءٍ يخترعون لهم أدعيةً يشتغلون بها عن الاقتداء بالنَّبِيّ -ﷺ-"(٦٨).

---

(٦٧) [شرح رياض الصالحين: (٤/ ٦١٧)].

(٦٨) [الفتوحات الربانية لابن علان: (١/ ١٧)].



وقال القرطبي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: "فعلى الإنسان أن يستعمل ما في كتاب الله وصحيح السنة من الدعاء ويدع ما سواه، ولا يقول أختار كذا؛ فإن الله تعالى قد اختار لنبيه وأوليائه وعلمهم كيف يدعون"(٦٩).

وقد سئل شيخ الإسلام -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- عمن يقول: أنا أعتقد أن من أحدث شيئا من الأذكار غير ما شرعه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصح عنه أنه قد أساء وأخطأ؛ إذ لو ارتضى أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم نبيه وإمامه ودليله لاكتفى بما صح عنه من الأذكار. فعدوله إلى رأيه واختراعه جهل وتزيين من الشيطان وخلاف للسنة؛ إذ الرسول صلى الله عليه وسلم لم يترك خيرا إلا دلنا عليه وشرعه لنا، ولم يدخر الله عنه خيرا؛ بدليل إعطائه خير الدنيا والآخرة؛ إذ هو أكرم الخلق على الله فهل الأمر كذلك أم لا؟

فأجاب: "الحمد لله، لا ريب أن الأذكار والدعوات من أفضل العبادات، والعبادات مبناها على التوقيف والاتباع لا على الهوى والابتداع، فالأدعية والأذكار النبوية هي أفضل ما يتحراه المتحري من الذكر والدعاء، وسالكها على سبيل أمان وسلامة، والفوائد والنتائج التي تحصل: أمر لا يعبر عنه لسان ولا يحيط به إنسان، وما سواها من الأذكار قد يكون محرما، وقد يكون مكروها، وقد يكون فيه شرك مما لا يهتدي إليه أكثر الناس، وهي جملة يطول تفصيلها، وليس لأحد أن يسن للناس نوعا من الأذكار والأدعية غير المسنون، ويجعلها عبادة راتبة يواظب الناس عليها كما يواظبون على الصلوات الخمس؛ بل هذا ابتداع دين لم يأذن الله به، بخلاف ما يدعو به المرء أحيانا من غير أن يجعله للناس سنة، فهذا إذا لم يعلم أنه يتضمن معنى محرما لم يجز الجزم بتحريمه، لكن قد يكون فيه ذلك والإنسان لا يشعر به ... وأما اتخاذ ورد غير شرعي واستنان ذكر غير شرعي: فهذا مما ينهى عنه، ومع هذا ففي الأدعية الشرعية والأذكار الشرعية غاية المطالب الصحيحة ونهاية

---

(٦٩) [الجامع لأحكام القرآن: (٤/ ٢٣١)].

المقاصـد العلية ، ولا يعدل عنها إلى غيرها من الأذكار المحدثة المبتدعة إلا جاهل أو مفرط أو متعد"(٧٠).

٤/ الصـبر على ما يصـدر من الأبناء: وخاصـة في مرحلة المراهقة والشـباب فهما مرحلتا التمرد والانطلاق، وفي الغالب يسـببب الأبناء في هذه المرحلة الكثير من المتاعب للأهالي، على الوالدين أن يدركوا ذلك وإلا فإن المشـاكل تزيد وتتفاقم ويؤدي ذلك إلى فجوة بين الآباء والأبناء، لذلك يجب على الوالدين والأم خصوصًا أن تكون على دراية بما يحدث في هذه المرحلة من التغيرات البدنية والنفسـية حتى يتم التعامل معهم بشـيء من الحكمة والحلم والصبر.

ومن الأخطاء التي يرتكبها الوالدان في هذه المرحلة اسـتخدامهم أسـلوب السـلطة ولهجة الأوامر والتحكم، والتعنيف بالضـرب والحرمان أحيانًا والسـخرية منهم فيما يحبون القيام به من سلوكيات مختلفة والتي تناسب عمرهم، فيمنعونهم ويسخرون منهم سواءً أكان ذلك بدافع الخوف عليهم أو غيره.

فهـذا لا ينبغي أبـدًا؛ لأنـه يؤدي إلى نفور الأبنـاء وعـدم تقبلهم للأوامر، وبالتـالي يظهر العناد منهم، وكذلك يؤثر هذا سـلبًا على شـخصـياتهم فينشـؤون ضـعفاء وتتكون لديهم صفات عدائية تجاه أنفسهم ووالديهم.

فعلى الوالدين ترك الأسـلوب القديم المتسـلط الذي تربوا هم عليه، فإنه لا ينفع في هذا الزمن، لحدوث متغيرات كثيرة عن الأجيال الماضية في المبادئ والتربية والقيم والتي يجب أن تؤخذ بالاعتبار، فلا يصـح أن يسـتخدموا نفس الأسـلوب الذي تربى عليه الوالدين، فيجب على الآباء التحول من اللهجة الآمرة، المتسلطة إلى المشاركة والحوار والمصادقة حتى

(٧٠) [مجموع الفتاوى: (٢٢/ ٥١٠)].

يكسبوا الأبناء، وحتى يتقبل الأبناء النصائح المقدمة إليهم، ومهم جداً أن يكون بينهما تواصل بناء لحمايتهم من الفتن والانحرافات الأخلاقية والفكرية المحيطة بهم.

كما يغفل الكثير من الآباء أن الأبناء -صغارًا وكبارًا- يحتاجون إلى الحب وإلى الحنان وإلى الاحترام داخل الأسرة ليشعروا بالأمان والاطمئنان، لا شك أن الأبناء إذا نشئوا في بيئة سليمة سينعكس ايجابًا عليهم وبالتالي سينعكس إيجابًا أيضًا على المجتمع لأن المنزل المؤسسة الأولى في المجتمع، فتربية الأبناء على الدين الإسلامي والشرع له أهمية كبير في بناء المجتمع بأسره.

٥/ ترسيخ العقيدة في نفوس الأبناء والاهتمام بها، فالحرص على تعليم العقيدة للناس ودعوتهم لها -ولاسيما الصغار- هو منهج الأنبياء -عليهم السلام- والمصلحين من بعدهم ومن ذلك قوله تعالى عن نوح في دعوته لولده وتحذيره من مصاحبة أهل الضلال: ﴿**يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾**﴾(٧١).

وكذلك يقول -سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ- عن إبراهيم -عليه السلام- حين وصى أبناءه على الإسلام: ﴿**وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٣٢﴾**﴾(٧٢).

وهذا نبينا محمد -صلى الله عليه وسلم- يوصي ابن عباس -رضي الله عنهما- على عقيدة الراسخة فيقول -صلى الله عليه وسلم-: «**يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ ...**» (٧٣).

---

(٧١) [سورة هود: (٤٢)].

(٧٢) [سورة البقرة: (١٣٢)].

(٧٣) [أخرجه الترمذي: (٢٠١٦)].

وكذلك هذه وصيَّة الأب الناصح لولده، المعلم لعقيدته ابنه وأخلاقه، وهو لقمان -عليه السلام- وقد ذكَرها الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- في كتابه؛ لتكون خيرَ مُعينٍ للعباد على التربية، فقال -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-: ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾ ﴾(٧٤)، بماذا بدأ لقمان -عليه السلام-؟ بالتوحيد لأنه الأساس، لأنه الأصل، لأن فيه النجاة في الدنيا والآخرة، فتعليم العقيدة رأس العلوم وأساسها، وترسيخ العقيدة حماية من الانحراف الفكري والعقدي.

فيهمل بعض الآباء تعليم أولادهم العقيدة بحجة أنهم مازالوا صغار! لكن الذي غفلوا عنه أنهم إذا كبروا لم يستطيعوا تعليمهم، وكما أشار إلى ذلك العلامة ابن القيم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- حيث قال: "فمن أهمل تعليم ولده ما ينفعه، وتركه سدى فقد أساء إليه غاية الإساءة، وأكثر الأولاد، إنما جاء فسادهم من قبل الآباء، وإهمالهم لهم وترك تعليمهم فرائض الدين وسننه، فأضاعوهم صغارا فلم ينتفعوا بأنفسهم ولم ينفعوا آباءهم كبارا" (٧٥).

(٧٤) [سورة لقمان: (١٣ - ١٩)].

(٧٥) [تحفة المودود بأحكام المولود: (٢٢٩)].

وإن الاهتمام بتعليم الأطفال وتنشئتهم على الاعتقاد الصحيح هو سبب حماية الأمة بإذن الله من الزيغ والضلال، ولذلك لما قال رجل للأعمش -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- هؤلاء الغلمان حولك ؟! قال: "اسكت، هؤلاء يحفظون عليك أمر دينك" (٧٦).

فإذا لم نزرع فيهم العقيدة السليمة فإننا قد أعنَّا على هلاكهم، لأن هناك من يتربص بهم من أهل البدع والضلالات، وما أكثرهم الآن، لا كثرهم الله، فما انتشر فكر الخوارج والإخوان -وهم ليس بإخواننا ولا كرامة لهم-لأنهم مخالفون للعقيدة الإسلامية، مخالفون لهدي النبي -ﷺ-، فهؤلاء الأشرار ضلوا وأضلوا الناس.

فهؤلاء الضلال حذرنا الرسول -ﷺ- منهم في ثلاث عشر حديث وسماهم كلاب أهل النار، أفسدوا العقول، وأورموا القلوب على ولاة الأمور، وعاثوا في الأرض فسادًا، تسببوا في الحروب والقتل والتشريد، تسببوا في ترميل النساء واغتصاب البنات، وحتى العجائز ما سلموا منهم، عاملهم الله بما يستحقون.

إذا لم نحصن الأبناء بالعقيدة السليمة، والتفكير السليم، والتوجيه السديد؛ سيتلقفهم هؤلاء وسيغرقونهم بالشبهات وسيلبسوا عليهم دينهم، ويلقون بهم إلى أماكن الصراعات يلاقون الويلات وهم متربعون في بيوتهم، وعليهم ألحفتهم وبين أولادهم ويعافسون زواجاتهم، وهؤلاء المساكين ذهبوا إلى بلاد الفتن وغرروا بهم أوهموهم بفضائل الجهاد والحور العين، علموهم أن سب الولاة والعلماء تكون من الشجاعة، علموهم الأنكار على الولاة يكون على الملاء وأنه واجب عليهم ذكر معايبهم على الملأ! هؤلاء الخوارج أجهل الناس بالضوابط الشرعية للإنكار نسأل الله أن يكفي المسلمين من

(٧٦) [الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي: (٦٣)].

شـرورهم، علموهم بأن تكفير المسـلمين من البطولة ولا تخافون من الله لومة لائم، قالوا لهم فجروا الناس في المساجد وهم سجود لتنالوا رضا الله! أي دين هذا؟ وأي هراء هذا؟

أهذا الذي ينادي به محمد -ﷺ-؟ نعوذ بالله منهم ومن ضلالاتهم، ونسأل الله أن يحفظ ذريتنا من هؤلاء الضـلال الذين خاف علينا الرسـول -ﷺ- منهم، فعَن النَّواسِ بن سَمْعَانَ -رضي الله عنه-، قَالَ: قال رســول الله -ﷺ-: «**غَيْرُ الدَّجَّالِ أَخْوَفُنِي عَلَيْكُمْ، إِنْ يَخْرُجْ وَأَنَا فِيكُمْ، فَأَنَا حَجِيجُهُ دُونَكُمْ، وَإِنْ يَخْرُجْ وَلَسْــتُ فِيكُمْ، فَامْرُؤٌ حَجِيجُ نَفْسِــهِ وَاللهُ خَلِيفَتِي عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ**»(٧٧).

ولقـد صـــح عن النبي -ﷺ- أنـه قـال: «**أَخْوَفَ مَـا أَخَـافُ عَلَيْكُمُ الْأَئِمَّـةُ الْمُضِلُّونَ**» (٧٨).

وقال السندي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: "(أئمة مضلين) أي داعين الخلق إلى البدع" (٧٩).

وقـال النووي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: "«**أَخْوَفُ مَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي الْأَئِمَّةَ الْمُضِـــلُّون**» معناه: أن الأشياء التي أخافها على أمتي أحقها بأن تخاف الأئمة المضلون" (٨٠).

وقال الشيخ ابن عثيمين -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: "«**الْأَئِمَّةَ الْمُضِلُّون**»: أئمة الشر، وصدق النبي -ﷺ- إن أعظم ما يخاف على الأمة الأئمة المضـــلون، كرؤســـاء الجهمية والمعتزلة وغيرهم؛ الذين تفرقت الأمة بسـببهم، والمراد بقوله: «**الْأَئِمَّةَ الْمُضِـــلُّون**»: الذين يقودون

---

(٧٧) [أخرجه مسلم في صحيحه: (٢٩٣٧)، وابن ماجه في سننه: (٤٠٧٥)].

(٧٨) [أخرجه أحمد في مسنده: (٢٧٤٨٥)، وللحديث شواهد].

(٧٩) [حاشية السندي على سنن ابن ماجه: (٢/ ٤٦٥)].

(٨٠) [شرح النووي على مسلم: (١٨/ ٦٤)].

الناس باسم الشرع، والذين يأخذون الناس بالقهر والسلطان؛ فيشمل الحكام الفاسدين، والعلماء المضلين، الذين يدعون أن ما هم عليه شرع الله، وهم أشد الناس عداوة له"(٨١).

فأولئك الظلال أصحاب الفكر المنحرف يدعون الناس إلى البدع والشركيات والمنكرات، فيُسوّغون البدع للناس، وخاصة الشباب، ويَشُقُّون عصى الطاعة والجماعة، بما حرَّفوه مِن نصوص القرآن الكريم والسُّنة النبوية، وبما افتروه على الشريعة والعلماء والفقهاء، حيث وصفوا علماء السنة بأقبح الأوصاف قبحهم الله؛ فجعلوا بين العلماء الربانين وبين الناس فجوة حتى لا يأخذوا منهم أو يلتفت الناس إليهم، لأن الخوارج والإخوان لا يحبون العلماء الربانين السائرين على هدي سيد المرسلين، لأنهم يظهرون للناس زلات وأخطاء ومنكرات أولئك الظلال المنحرفين، فلذلك يقوم هؤلاء الأئمة الضلال بتنفير الناس عن العلماء، حتى إنَّه بسببهم افترقت أمَّة النبي -ﷺ- في دينها إلى فِرَقٍ كثيرة جدًّا ولا حول ولا قوة إلا بالله والله يقول وينادي الناس جميعًا: ﴿**وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ**﴾(٨٢).

لقد عانت الكثير من البلدان -قديمًا وحديثًا- منهم لا كثرهم الله ولا مكنهم. وأسأل الله أن يرزقنا سلامة المعتقد، والمسلم يكثر من الدعاء لنفسه بالثبات ويكثر الدعاء لأبنائه أن يعيذهم منهم فإن القلوب تتقلب والشبه خطافة، والمسلم لا يأمن على نفسه الفتنة ولا حول ولا قوة لنا إلا به -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-، وعلى المسلمين أن يؤدوا ما ائتمنوا عليه والأمانة مأخوذة من الأمن، والأمانة ما أمر الله الإنسان بحفظه، فكل ما أمر الله بحفظه فهو أمانة على عاتقه ومسؤول عنها الإنسان يوم القيامة وسيحاسب عليها.

---

(٨١) [القول المفيد على كتاب التوحيد: (١/ ٤٧٨)].

(٨٢) [سورة آل عمران: (١٠٣)].



الخاتمة

وفي الختام؛ التربية الصحيحة أساسٌ لحِفظ الأولاد من الانحرافات، فالتربيّة تجعل من الأبناء أقوياء في وجه الشهوات والشُبهات والمصائب، فالواجب على الوالدين القيام بمهام التربية الإسلامية الصحيحة لأبنائهم، وألاَّ يتخلَّوا عن هذه الأمانة العظيمة التي هي في أعناقهم، وليصبروا على تربيتهم التربية الصالحة فقد يلقى الوالدين الكثير من العقبات في خضم تلك الفتن التي تلف بنا وتحوطنا من جميع الجهات، ومن وسائل مرئية ومسموعة مسمومة في كثير من القنوات، مما يجعل التربية أصعب لكن ليوقن الوالدين بوعد الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَا﴾[٨٣].

وأن هذا التعب والجهد والصبر على التربية لن يذهب سدى، بل كما قال بعض السلف: "إن من الذنوب من لا يكفرها إلا الهم على الأولاد"، فالولد الصالح هو من خير ما يتركه المسلم من بعده، فهم من كسبه الطيب بعد الممات، فهو نافع لأبويه في حياتهما وبعد موتهما؛ ولذلك يقول النبي -ﷺ-: «**إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ**»[٨٤]، بل الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- كرمًا منه سبحانه وتفضلًا يجمع الذرية الصالحة مع آبائها الصالحين في

(٨٣) [سورة العنكبوت: (٦٩)].

(٨٤) [أخرجه مسلم: (١٦٣١)].

الجنة وإن لم يبلغوا درجة والدينهم، لكن لكي تقر أعين الوالدين بهم، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٖۚ كُلُّ ٱمۡرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٞ ٢١﴾(٨٥)، لذا فعلى المسلم والمسلمة أن يأخذ بجميع الأسباب لنَيْل الولد الصالح، وعلى الوالدين أن يتحلوا بالصبر وأن يجاهدوا في صلاح الأبناء فصلاح الأبناء قرة عين في الدنيا والآخرة وكذلك نفعهم يكون في الدنيا والآخرة، يقول الرسول -ﷺ-: «**إِنَّ الرَّجُلَ لَتُرْفَعُ دَرَجَتُهُ فِي الْجَنَّةِ فَيَقُولُ: أَنَّ هَذَا؟ فَيُقَالُ: بِاسْتِغْفَارِ وَلَدِكَ لَكَ**»" (٨٦).

جعَل الله سبحانه فضلًا منه سبحانه استِغفارَ الولَدِ لوالِدَيهِ سبَبًا لرَفْعِ درَجتِهما في الجنَّةِ. ألا يكفي هذا الحديث ليصبر الوالدين على تربية الأبناء التربية الصحيحة؟ نسأل الله -جَلَّجَلَالُهُ- أن يقر أعيننا بصلاح ذرياتنا، وأن يهديهم سواء السبيل، وأن يجعلهم هداة مهتدين غير ضالين ولا مضلين، وأن يعيذهم من الفتن ما ظهر منها وما بطن، وأن يرزقهم الصحبة الصالحة التي تكون عونًا لهم على الثبات على الطريق المستقيم، وأن يقر أعيننا بهدايتهم وبصلاحهم، وأسأله سبحانه أن يرزقنا بر الأبناء في الدنيا والآخرة إنه ولي ذلك والقادر عليه والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله.



(٨٥) [سورة الطور: (٢١)].

(٨٦) [أخرجه ابن ماجه: (٣٦٦٠)، وأخرجه أحمد في مسنده: (١٠٦١٠)].